الفردوسى الشاعر الفارسى

ان الاحتفال بمرور ألف سنة على حياة الفردوسى شاعر الفرس الشهير ومؤلف (ملحمة الشاهنامة) فى هذه الأيام قد طبق الخافقين فقام الناس وقعدوا لتكريم رجل فى الشرق من نوابغ الشعراء وجاء الاساتذة والدكاترة من اطراف أميركة الشمالية الى بلاد ايران لحضور المهرجان الذى تقيمه طهران احتفاء بمولد كبير شعرائها .

والشاهنامة هى الملحمة البديعة التى بقيت أشبه باليادة أوميروس دستوراً للادب الفارسى وقد عنى الدكتور محمد آغا أوغلو أستاذ الفن الاسلامى فى جامعة مشيغان الاميركية ومدير القسم الشرقى فى متحف الفنون الجميلة فى مدينة ديترويت بهذا الشاعر وتعريفه للغرب بما نشره من المقالات فى الصحف الاميركية جرائد ومجلات وهو صديق الدكتور النطاسى وطنينا وصديقنا لطفى السمدى رئيس معاينة الأمراض الداخلية فى جامعة هارفرد (ديترويت) وكاتب البحوث المفيدة فى مجلات أميركة عن الطب العربى وفنونه وأعلامه فرافقه الى بلادنا وافترن بفتاة مهذبة فان سكتت الصحف عنه فقد نطق فضله بآدابه . . وان أهملنا نحن ذكر علمائنا أحياء وأمواتاً فنشكو أمرنا الى الله الذى يلهمنا معرفة قدر الرجال الذين يجب الاحتفال بهم وهذه كلمتى فى الفردوسى .

توطئة

اتصل العرب بالفرس من زمن قديم ووقفوا على آدابهم واقتبسوا من آثار أفكارهم وبنات أفلامهم . فالفرس أمة قديمة اشتهرت بآثارها وشعوبها وآداب لغاتها كما تدل العاديات المكتشفة والتواريخ المنقوشة على الصخور وفى بطون الاوراق والآجر ، من ذلك كتاب كليلة ودمنة الذى نقله الينا ابن المقفع من الفارسية المعروفة بالبهلوية وهو مشهور ومعروف بأدب القصة وحسن المغزى واجادة المباحثة .

ونبغ من الفرس أطباء مثل ابن سينا ، ونُحاة مثل سيبويه ، وشعراء مثل بشار بن برد وبديع الزمان الهمذانى ، ولغويون مثل الكسائى والفراء وأبى عبيدة ، وكتّاب مثل ابن قتيبة ، ومؤرخون كالبلاذرى والدينورى والثعالبى ، ومترسلون كالخوارزمى ، وجغرافيون كالاصطخرى وابن خرداذبه ، وفلاسفة كالفارابى والغزالى واخوان الصفا وفقهاء مثل أبى حنيفة النعمان ، ورواة مثل حماد ، وكلهم كانوا من رجال النهضة ولهم مؤلفات وكتب هى مرجع الطلاب ومنتجع الأدباء ولبعضهم آثار أقلام بلغتهم الفارسية مما لا محل لتفصيله ولطالما اقتبس شعراؤنا من المعانى الفارسية وتحدى كتابنا ومؤلفونا أساليبهم ونقلوا أفكارهم وافتخروا بنتاج عقولهم .

نشأة الفردوسى وشاهنامته

كان العصر الذهبى للآداب الفارسية بين القرنين العاشر والحادى عشر للميلاد فأزهرت العلوم والفنون ولا سيما الشعر فنبغ فيه كثير من الشعراء والكتاب والعلماء وبينهم الشاعر العبقرى (الفردوسى) الذى أفقت شهرته وذاع صيته وتناقل الناس آثار أقلامه وبنات أفكاره .

(فالفردوسى) هو نصير الدين الطوسى نسبة الى مدينة (طوس) الفارسية التى أنجبته فوُلد فيها سنة ٩١٦م (٣٠٤ هـ) واشتهر بعبقريته وجودة قريحته وقوة بادرته فى النظم فنال منزلة عظيمة فى عيون القوم وأقبلوا على منظوماته ولا سيما (الشاهنامة) الملحمة الطويلة التى صرف ثلاثين سنة فى تأليفها فضمنها تاريخ ملوك ايران منذ أول عهدهم الى زمن خسرو ابرويز واسترسل فيها الى وصف أساطيرهم وخرافاتهم وخيالاتهم مما يتعلق بأخلاقهم وعاداتهم حتى أجاد ما شاءت بلاغته فى تصوير أصول الدول وشؤونهم والشعب ومزاياه وسرد الحوادث أجمل سرد ببلاغة ورشاقة حتى كانت ملحمته هذه ستين ألف بيت من الشعر الفارسى المتين فكانت أبلغ ما نظم بالفارسية بل جاءت حداً فاصلاً بين الشعر الفارسى الصرف والشعر الفارسى الملمع بالكلام العربى الكثير الشائع إذ ذاك .

وقدمها الفردوسى الى السلطان محمود ابن سبكتكين الغزنوى فذهب المؤرخون فى خبر هذه التقدمة الى رأيين :

الأول — أن السلطان الغزنوى كافأه بدينار عن كل بيت فنال ستين ألف دينار وذلك فى أوائل القرن السادس للهجرة .

فرأى الفردوسى الجائزة كبيرة وكان لم يسبق له عهد بمثلها قبل ذلك فاستولى على عقله خيال أدّى الى اختلاله فمات من ليلته لشدة ذهوله .

والثانى — أنه لما قدم ملحمته هذه للسلطان المذكور لم تنل هديته الحظوى لديه فأساء معاملته وفرّ الى بغداد وهجاه بقصيدة بليغة . فاضطر السلطان الى استرضائه باستقدامه اليه نادماً على تسرعه بعدم تكريمه واجازته ، فلم يلبّ الفردوسى طلبه بل مات غريباً عن وطنه وترك ابنة وحيدة له نزل فيها ضيق ذات اليد فأصبحت فقيرة يتيمة .

فلما نمى خبره الى الغزنوى وعرف ما هى عليه ابنته من الحاجة والفاقة أجازها على منظومة أبيها الآنفة الذكر بمال كثير ، على أنها لكبر نفسها ولبرّها بوالدها أرجعت اليه المال آبية التمتع بعد أبيها بمال حظر عليه فى حياته ، فعجب السلطان منها .

عناية الغرب بالشاهنامة

ولما وقف الافرنج على آداب الفرس وعصرهم الذهبى فى ذلك العهد كتبوا مؤلفات عنهم واعتنوا بدرس الشاهنامة وترجمتها والوقوف على أفكارها مع أن جيران الفرس من العرب وغيرهم لم يحفلوا بها ولا احتفوا بها تلك الحفاوة الواجبة لما فيها من البدائع والأفكار الشرقية والصور الخيالية وحسن الانسجام والرصف .

وممن اعتنى بها فى القرن الماضى جول موهل المستشرق الالمانى المتوفى سنة ١٨٧٦ م . فطبعها فى باريس بغاية الضبط والدقة والترتيب فى سبعة مجلدات ضخمة ونقلها الى الفرنسية وذيلها بالحواشى والتفاسير فجاءت آية فى الابداع ووقف الأوربيون على أفكار الفردوسى وحسن تصرفه بالمعانى وسرد الأخبار .

وجاء بعده المستشرق الروسى نيكولا خانيكوف المتوفى سنة ١٨٧٩ فكتب فى آداب الفرس وشعرائهم وأفاض فى وصف الفردوسى وشاهنامته هذه لأنه كان قنصل دولته الروسية فى تبريز فعرف الفارسية وتعمق فى فهمها حتى كشف حقائق غامضة عن الشاهنامة .

وعقبه آخرون فى هذه الدروس من المستشرقين مثل ادورد برون الانكليزى الشهير فوضع كتاباً انجليزياً فى تاريخ آداب اللغة الفارسية ونوابغ الشعراء والكتاب

والأدباء على اختلاف طبقاتهم وفيه تفصيل واف عنهم وعن شاعرهم الفردوسى وملحمته الى غير ذلك مما لا محل للافاضة فيه بهذه اللمعة .

شاهنامة تركية

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر نشير هنا الى منظومة تركية لناظمها الفردوسى الطويل باسم الشاهنامة فى عهد السلطان بايزيد العثمانى بلغ عدد أبياتها المليون أو أكثر على قول أحدهم تحدى فيها الناظم شاهنامة الفردوسى فانتقى منها ثمانين مجلداً فأهداها الى السلطان المذكور فلم يجزه عليها بشيء فغادر البلاد العثمانية الى خراسان آسفاً على ما أصابه من الفشل .

هذا ما رأيت الآن ذكره باختصار من درس مطول لى فى شعراء الفرس بكتابى « التذكرة المعلوفية » ذكرى لهذا الاحتفال والسلام ؟

زحلة (لبنان) **عيسى اسكندر المعلوف**

أبولو والشعراء

قرأت أخيراً فى مجلتكم تحت هذا العنوان كلاماً ، أحسب أن لى الحق فى التعليق عليه ، على الأقل باسم ماترددونه كثيراً من تسامحكم الأدبى ، وافساح المجال لما قد يوجه اليكم من النقد ! وعلى غير عادة أحتفظ بنسخة أخرى من هذه الكلمة اذ أننى لا أثق كثيراً بما يذيعونه عن تسامحكم وترحيبكم بالنقد .

وأظنكم تعترفون معى أنكم فى بعض ما كتبتم قد وصلتم إلى مستوى أعلن أسفى ومجزى معاً عن مجاراتكم فيه ، فان أخلاق التى يطيب لكم الآن — فقط —